

على أن الشعر العظيم ، من طراز «غرور المآرب البشرية» ، نادر، ولاستطيع أن نأخذ على جونسون أنه لم يكتب مزيداً منه حين ننظر في ضآلة ماهو موجود على شاكلة هذا الشعر . ومع ذلك فإن هذا النموذج من الشعر لا يمكن أن يرق إلى أعلى المراتب، فهو ، بطبيعته ، ذو تركيب مهلهل نوعاً ما ، والفكرة مبذولة منذ البداية، ولما كانت فكرة مقبولة على صعيد عالمي فليس من الممكن أن يكون هناك إلا قليل من التطوير، بل مجرد ضروب من التنوع حول الموضوع الواحد . ولم يكن جونسون يملك موهبة التركيب . ذلك لأن التركيب الأكثر إحكاماً — وأنا أعدّ التركيب عنصراً هاماً في الإنشاء الشعري — يقتضي تنوعاً في المواهب — الوصفية والقصصية ، والمسرحية . ونحن لانتوقع في العادة بنية مُحكّمة جداً لقصيدة بالدويت المفى تبدو غالباً وكأنها يمكن أن تبدأ أو تنتهي في أي مكان ، وذلك بالنظر إلى ما يترتب على الكاتب أن يقول . ولكن هناك قصيدة لمعاصر وصديق لجونسون ، على درجة عالية من التنسيق ، فأنا أضع قصيدة «القرية المهجورة» في موضع أعلى من أية قصيدة لجونسون أو لغراي . ففي قصيدة غولد سميث يتمثل فن الانتقال في كماله . وإذا اختبرته فقرة فقرة فسوف تجد دائماً انعطافاً في اللحظة المناسبة ، من الوصفي إلى التأملي ، فإلى الشخصي ، فإلى التأملي مرة أخرى، فإلى المنظر الطبيعي مع الأشخاص ، فإلى التصوير الدقيق للأفراد (الكاهن وناظر المدرسة) ببراعة وإيجاز نادرٍ المثل منذ عهد تشوسر . وهذه الأقسام محكمة التنسيق والتناسب، وأخيراً فإن الفكرة مع كونها مقبولة من حيث هي فكرة جونسون، تعد أكثر أصالة ، كما تعد نبويّة أيضاً:

سأغادر البلاد، فريسة للأمراض التي تعاجلني
حيث تتكدس الثروة، ويتفسخ البشر

لقد قمت بهذا الاستطراد لأنني لأحسب أن جونسون يكشف عن طاقة عظيمة في تركيب قصائده، ولأنني لأحسب أنه يدرك أهمية النظر في التركيب لدى تقييم القصيدة . وأنتقل الآن إلى إعادة النظر في خصائص القصيدة الجيدة،